



اللقاء: 03- الوفاء في القرآن الكريم

المحاضرات

مركز الكالوتى - برنامج آيات وتأملات

2022-03-05

الأردن

عمان

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛ بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسألك على نبينا الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين، اللهم علّمنا ما ينفعنا، واغفنا بما علمتنا وزرنا علماً وعملاً متقبلاً يا رب العالمين وبعد.

الوفاء لغة واصطلاحاً:

أيها الإخوة الأكارم: أيها الأخوات المُصلحات: أسعد الله أوقاتكم بكل خير، ونحن مع اللقاء الثالث من سلسلتنا: "آيات وتأملات"، وفي هذه السلسلة تناولنا تدريجياً موضوعاً لكتاب الله تعالى بحيث نأخذ موضوعاً من الموضوعات القرآنية، ونفهمه في ضوء الآيات القرآنية، وهذا من أجمل أنواع التدبر القرآني، أن نجمع الآيات المتعلقة بموضوع واحد وتدارسها فيما بيننا، طبعاً لن تستطع أن نجمع كل الآيات المتعلقة بكل موضوع لكن نأخذ من كل ستانٍ رهبة كما يقال.

اليوم اللقاء الثالث بعنوان: "الوفاء في القرآن الكريم": قبل أن نأتي إلى الآيات القرآنية المتعلقة بالوفاء.

نُعرّف الوفاء لغة واصطلاحاً كما هو منهجهنا في هذه الأبحاث.



الوفاء ضد الغدر

الوفاء لغة ضد الغدر، فلان وفلي وفلان غادر، هناك من يغدر بخليله فلا يغri بعهده، فالوفاء ضد الغدر، ويقال: وقى بعهده إذا أتمه ولم ينقض حفظه، العهد ينبعغى أن يحفظ، وأن يُوفى به، فإذا أنتَ العهد ووفاه وأعطيه حقه ولم يتوقفه فهذا هو الوفاء.

أما اصطلاحاً فقالوا: الوفاء هو حفظ العهود والوعود وسنتي إلى ذلك، وأداء الأمانات، والاعتراف بالجميل، أي من الوفاء أن يعترف الإنسان بالجميل فيقول: والله فلان كان له فضل عليّ بعد فضل الله تعالى، هو من علمني هذه الحرفة، هذا من الوفاء:

{ مَنْ لَا يُشْكِرُ النَّاسَ لَا يُشْكِرُ اللَّهَ }

(رواية الترمذ)

فجزء من الوفاء أن يعترف الإنسان بالجميل، وأعظم اعتراف بالجميل أن تعرف بجميل خالفك عليك، وأن تكون وفياً معه ثم مع الناس، صيانة المودة والمحبة، فإذا كان هناك إنسان بيتك وبنه مودة وحب فمن الوفاء أن تصون هذه المودة فإن حصل ما يتغصها حملتها على أحسن محمل، بعض الناس يحملون كلام الآخرين علىأسأ محمل، فلو أنه تكلم بكلمة يأخذها على المحمل السيئ، هو صديقك وأخ لك في الله فاحمل كلامه على أحسن محمل هذا اسمه صيانة المودة والمحبة.

أنواع الوفاء في القرآن الكريم:

أنواع الوفاء في القرآن الكريم: الوفاء يأتي في القرآن الكريم وفاء بالعهد أو وفاء بالعقد أو وفاء بالوعيد، العهد والعقد والوعيد، أول الأنواع: الوفاء بالعهد.

الحقيقة هناك تعريفات كثيرة للعهد لكن أجمل تعريف هو تعريف ابن عباس رضي الله عنهما وهو حبّ الأمّة وترجمان القرآن قال:

"الوفاء بالعقود: العهود هو ما أحلَّ الله، وما حَرَمَ وما فرض وما حَدَّ في القرآن كله" كلُّ شيءٍ أحلَّه الله تعالى فهو عهده بمعنى الوفاء به، وكلُّ شيءٍ حرمه الله تعالى فهو عهده بمعنى الوفاء به، وكلُّ فرضٍ فرضه طبعاً الحال أوسع من الفرض، الطعام والشراب حالٌ لكن الصلاة فرض، وكلُّ فرضٍ فرضه بمعنى الوفاء به، وكلُّ حدٍّ حده بمعنى الوفاء به بمعنى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تَلْكَ حُدُودُ اللَّهِ قَلَا تَقْرِبُوهَا (187)

(سورة البقرة)

الحدود حد الزنا، حد السرقة، إلى آخره، فهذه كلها حدود بمعنى الوفاء بها، هذا تعريف ابن عباس للعهد.

من وقى بعهده لله وفى الله بعهده له:

الآن لو جئنا إلى الآيات الكريمة الآية الأولى في الوفاء بالعهد قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تَبَيَّنَتْ إِسْرَاعِيلَ لَهُمْ نُزُلُوا بِعْمَلِنَا لَنَا أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفَيْتُ عَهْدَنِي أُوفِيَ بِعَهْدِكُمْ وَإِنَّمَا قَاتَلُوكُمْ فَإِنَّهُمْ هُوَ الظَّالِمُونَ (40)

(سورة البقرة)

في القرآن الكريم آيات من هذا القبيل مثل:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا قَاتَلُوكُمْ لَهُمْ يَتَصْرُكُمْ وَبَيْتُكُمْ أَقْدَامُكُمْ (7)

(سورة محمد)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَإِذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكُفُّونَ (25)

(سورة البقرة)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تُبَيَّنَ إِسْرَاعِيلَ هَذِهِرُوا بِعْمَقِيَّتِ الْيَتَأْمِمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِي بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي
فَإِنِّي هَذِهِنَّ (40)

(سورة البقرة)



فالله تعالى جل جلاله يكافئ عبده، يُجازيه، والجزاء غالباً ما يأتي من جنس العمل، مثلاً على سبيل المثال من يبرُّ والديه يأتيه أولادٌ ببرة في الأعم العالب، ولا عبرة للنادر، وهذا مُلاحظٌ مُشاهد من يبرُّ والديه غالباً ما يبرُّه أبناءُه، نقول: الجزاء من جنس العمل، لذلك في هذه الآيات:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تُبَيَّنَ إِسْرَاعِيلَ هَذِهِرُوا بِعْمَقِيَّتِ الْيَتَأْمِمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِي بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي
فَإِنِّي هَذِهِنَّ (40)

(سورة البقرة)

أنت تُوفي بعهد الله تعالى وهو جل جلاله يُوفي بعهدك، ما عهداً وما عاهد به الله تعالى أن تُطِيعه، وعهده أن يُدخل لك الجنة، عهده أن تُطِيعه فيما أمر وأن تنتهي عما عنه نهى ورجراً، وعهده جل جلاله أن يدخل لك الجنة التي وعد الله عباده بالغيب:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تُبَيَّنَ إِسْرَاعِيلَ هَذِهِرُوا بِعْمَقِيَّتِ الْيَتَأْمِمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِي بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي
فَإِنِّي هَذِهِنَّ (40)

(سورة البقرة)

فإن أنت أديت العهد كاملاً معنى وفاه أي أعطاه حقه كاملاً غير منقوص، فأنت إن وفيت بعهده لك، عهدك المطلوب منك أن تُطْبِعَه فلا تعصيه، طبعاً قد يُطْبِعَه الإنسان في المقصبة فيبار إلى التوبة هذا شيءٌ آخر، لكن نقول الأصل الطاعة، ولا يعني أنه لن يكون هناك معصية، لكن برمج حياته بني حياته على طاعة الله، وعلى الوفاء بعهد الله، فإذا وفى الله له بعهده وفى الله له بادخله الجنة التي وعد الله عباده بالغيب:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تَبَيَّنَ إِسْرَاعِيلُ ذُكْرُوا بِعَمَتِي لَيْتَ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّنَ فَارِقُونَ (40)

(سورة البقرة)

الرَّهْبَةُ هِيَ الْخُوفُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.

أرقى أنواع الشكر ألا تلتفت إلى النعمة وإنما أن تصل إلى المُنْعِم فوراً:
بالمناسبة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَبْيَثُ إِسْرَاعِيلَ ذَكْرُوا نَعْمَتِي لَتَنْ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنَّ
فَإِنَّهُنَّ (40)

(سورة البقرة)

بنو إسرائيل كان الله تعالى يأمرهم أن يذكروا نعمته، أتباع محمدٍ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنتم منهم ولله الحمد والمنة وهذا من فضل الله علينا وعليكم كان الله يأمرهم أن يذكروا الله:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(سورة الأحزاب)



الانتقال من النعمة إلى المُنعم

السائل من الحلة إلى المعلم

فلم يأمرهم بذكر النعمة، وإنما أمرهم بذكر الشفاعة، كلما رأيقيت في سلم اليمان تنتقل من النعمة إلى الشفاعة، أسوأ إنسان هو الذي يتلتفت إلى النعمة ولا يتبه إلى الشفاعة، مثال أح كريم دعا بعض الكرام إلى مائدة من موائد، ووضع لهم طعاماً طيباً، وبالغ في إكرامهم، والحلويات، وأحد الموجودين كان عقله مع النعمة فقط، فرأى حتى شيء شرب حتى أرتوه ثم تحلى وأكل الفاكهة ثم خرج، لما صار خارج البيت قال له: شكر حراك الله خيراً، فقط كلمة، ما قلت نسبت! قيل لها: نحن قد صورناك معنا فيليب، وأربناه التصوير الذي حصل، وكيف كان مُشتبهاً بالأكل فقط، ولم تبني على صاحب البيت، وكيف خرج من البيت، صاحب البيت مدد يده ليسليم عليه وهو غير متعبه وخر، فأطريق خجلاً وحصر على رأسه بما فعلت؟! هذا حال الشارد عن الله في الدنيا ينبعينا بغير درجة في ستين أو سبعين أو ثمانين سنة في النعمة وبأكل ويشرب ويتمنع وأكل ما طاب له ثم ينسى أن يقول: يا رب لك الحمد، فتوصله النعمة إلى الشفاعة، فأسوأ إنسان هو الذي يغنى عن النعمة الأعلى منه درجة، هو ما ذكره الله في الآية قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
**يُبَيِّنُ إِسْرَاعِيلَ ذَكْرُوا يَعْمَلُونَ لَتَأْتِيَ أَعْمَلُكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ وَإِذَا
فَلَرْهُبُونَ**(40)

سورة البقرة

أي ذكروا بأنها نعمتي التي أنعمت بها عليكم، فإذا تذكرت أنها من الله فهذا نوع من أنواع الشكر، لكن الأعظم والأرقى لا تلتفت إلى النعمة، وإنما أن تصل إلى المُنعم فوراً.

سؤال كل إنسان يوم القيمة عن العهد الذي كان بينه وبين الله تعالى:
لذلك أمة محمد صلى الله عليه وسلم خاطبهم الله تعالى فأمرهم بذكر الله:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَادْكُرُونِي><أَذْكُرْكُمْ وَاسْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ(25)

سورة البقرة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا <**إِذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا** (41) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (42)>

(سورة الأحزاب)

نحن مأمورون بذكر الله لا بذكر النعمة، لكن المفروغ منه أن النعمة تفضي إلى المُنعم، فالشارد عن الله مع النعمة، والمؤمن مع المُنعم، فهذه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
**يُبَيِّنُ إِسْرَاعِيلَ ذَكْرُوا يَعْمَلُونَ لَتَأْتِيَ أَعْمَلُكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ وَإِذَا
فَلَرْهُبُونَ**(40)

سورة البقرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَا تَقْرِبُوا مَالَ لِتُبْتَمِ إِلَّا بِمَا تَلَقَّى هُنَّ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَسْدَهُ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ إِنَّ لِعَهْدِهِ كَانَ مَسْوُلًا

سورة الإسراء



نَحْنُ لَسْنًا مَلِكًا لِأَنفُسِنَا نَحْنُ فَلَكَ اللَّهُ

هُنَّا يُوجَدُ مَحْذُوفٌ بِسَيْطٍ فِي الْآيَةِ وَأَوْفَوْا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُلًا) أَيْ كَانَ النَّاسُ مَسْؤُلِينَ عَنِ الْعَهْدِ، (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُلًا) عَنْهُ، فَنَحْنُ سَنُسْأَلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنِ الْعَهْدِ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى، لَذَلِكَ يَنْبَغِي الْوَفَاءُ بِهِ لَأَنَّ هُنَّا سُؤَالًا بَيْنَ يَدِ اللَّهِ، هَذِهِ الْآيَةُ جَاءَتْ بِالْحَدِيثِ عَنْ مَالِ الْبَيْتِ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

<وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ إِنْ سَمِّيَ إِلَّا بِإِنْ لَّيْسَ هُنَّ أَحْسَنُ> حَتَّى يَلْعَجَ أَسْدَهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُلًا(34)

(سورة الإسراء)

أَحْسَنُ أَيْ إِذَا كَانَ يُوجَدُ طَرِيقَةٌ جَيْدَةٌ وَحَسَنَةٌ وَطَرِيقَةٌ أَحْسَنُ فَيَنْبَغِي أَنْ تَأْخُذُ الْأَحْسَنَ، وَمَثَلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

<وَقُلْ لِعَبَادِي يَقُولُوا إِنَّمَا تَنْهَاكُمْ إِنَّ اللَّهَسَيْطَنَ كَانَ لِلنَّاسِ عَدُوًّا مُّبِينًا(53)>

(سورة الإسراء)

عَنْكَ كَلْمَاتَنَ، وَالْكَلْمَاتَنَ جِيدَتَانَ، لَكَنْ يُوجَدُ كَلْمَةً جَيْدَةً وَكَلْمَةً أَحْسَنَ مِنْهَا فَخَذُ الْأَحْسَنَ وَدُعُ الْحَسَنَ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

<وَقُلْ لِعَبَادِي يَقُولُوا إِنَّمَا تَنْهَاكُمْ إِنَّ اللَّهَسَيْطَنَ يَنْزَعُ بَيْنَهُمْ> إِنَّ اللَّهَسَيْطَنَ كَانَ لِلنَّاسِ عَدُوًّا مُّبِينًا(53)

سورة الإسراء

لَأَنَّ الشَّيْطَانَ كَمَا يَقُولُونَ يَدْخُلُ فِي التَّفَاصِيلِ، فَالْكَلْمَةُ الَّتِي قَدْ تَكُونُ حَسَنَةً قَدْ يَفْهَمُهَا عَلَى خَلَافِ مَا أَرَدَتْ مِنْهَا، أَمَّا الْأَحْسَنُ وَاضْجَفَ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقُلْ لِعَبادِي تَشْوِلُوا إِلَيْنِي هِيَ أَحْسَنُ
لِإِنَّ السَّيْطَنَ كَانَ لِإِنَّ إِلَيْنِي عَدُوًا مُّبِينًا(53)

(سورة الإسراء)

هنا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَا تَفْرِبُوا مَالَ إِلَيْنِي هِيَ أَخْسَنُ
كَانَ مَسْؤُلًا(34)

(سورة الإسراء)

كيف؟ أي إذا كان الإنسان عنده مال للأيتام، هو عم وتوفي أخوه، وأولاده صغار وهو الوصي على أموال اليتامي، الآن جاءته تجارة، التجارة يمكن أن تربح ويمكن أن تخسر، أي خمسون بالمئة وخمسون بالمئة، فقال: أنا سأناجر بأموال اليتامي حتى يستقيدوا، فأخذ أموال اليتامي ووضعهم في هذه التجارة، أي جعل أموالهم درينةً لماله، مالي لأن أضعه في التجارة خمسون في المئة خسارة، وضع مالهم خسر المال، والله خسر يا عم، أنا وضعته في تجارة فليس، لكن الله يعلم أنه لم يقرب مال اليتيم بالأخسن، بل قرره بالأسوأ، لو كان ماله لما وضعه لكنه عندما رأى أن التجارة قد تخسر وضع مال اليتيم فيها فجعل مال اليتيم درينةً أي حمايةً لماله فقال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَا تَفْرِبُوا مَالَ إِلَيْنِي هِيَ أَخْسَنُ
كَانَ مَسْؤُلًا(34)

(سورة الإسراء)

عندك تجارة ثمانون بالمئة رابحة تضع فيها مالك، مال اليتيم ضعه على التسعين في المئة، ضعه في التجارة التي أنت شبه متأكد من نجاحها، جربت سابقاً فيها ونجحت ضع ماله فقط في المكان الذي لا أقول تضمن نجاح التجارة ولكن تقترب من الضمانة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَا تَفْرِبُوا مَالَ إِلَيْنِي هِيَ أَخْسَنُ
كَانَ مَسْؤُلًا(34)

(سورة الإسراء)

هذا عهد بينك وبين الله، من وكله الله بمال اليتامي فهناك عهد بينه وبين الله أنتي وضعت أموال اليتامي عندك أمانة فأوف بالعهد:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَا تَفْرِبُوا مَالَ إِلَيْنِي هِيَ أَخْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَسْدَدَهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ كَانَ

(34)

(سورة الإسراء)

لأنك ستسأل يوم القيمة عن وفائك بالعهد، فإن قصرت في الوفاء، وأخلفت مالهم، وانتفعت به، وأخذت منه، وأنت لست بحاجة له، فقد وقعت في خيانة العهد والعذر:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ لِيَتَبَيَّنَ إِلَّا بِإِلَّا هُنَّ هُنَّ أَخْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَسْدَدُهُ
وَأَوْفُوا بِمَا عَاهَدْتُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ مَسْوِلًا

(سورة الإسراء)

ارتباط الوفاء بالعهد بالتفوى:

الآية الثالثة قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَلَئِنْ فِي إِلَّاهٍ لَّهُ يُحِبُّ الْمُنْتَهَى

(سورة آل عمران)



الوفاء بالعهد مرتبط بالتفوى

الوفاء بالعهد هنا مرتبط مع التقوى، التقوى هي: الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والاستعداد للموت قبل الرحيل، وهي أن يطاع الله فلا يعصي، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر، التقوى في الأصل هي أحد وقاية، سُئل أبو هريرة رضي الله عنه: ما التقوى؟ قال: هل سلكت طريقاً ذا شوك؟ قال: نحن أحياناً نمشي على طريق مُعيدة، أحياناً على طريق في غابة فيها شوك، قال: هل سلكت طريقاً ذا شوك؟ قال: نعم، قال: ماذا فعلت؟ قال: كنت إذا افتررت من الشوك تجاوزته أو ابتعدت عنه، إما أقفر فوقه أو أبعد إلى مكان ليس فيه شوك، قال: فذلك التقوى، أي هذا من اللغة، من لغة العرب التقوى، أن تتقى الشيء، فإذا وجدت معصية تتقى هذه المعصية فلا تقرها، أو نقول: تتقى الله، لأن الله سيحاسبك عن هذه المعصية، النتيجة واحدة، فإذا أن تتقى النار، أو تتقى الواقع في المعصية، أو تتقى الله تعالى، النتيجة واحدة، النتيجة أنك تختلف الله فتبعد عن المعصية فيبعذك ذلك عن النار، هذه التقوى، فهنا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَلَئِنْ فِي إِلَّاهٍ لَّهُ يُحِبُّ الْمُنْتَهَى

(سورة آل عمران)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَرُونَ بِعْدَهُ اللَّهُ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْتَنَّكَ لَا خَالقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يَكُنُّهُمُ اللَّهُ وَلَا يَسْطُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمُ الْقِيَامَةِ وَلَا يُرَكِّبُهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (77)

(سورة آل عمران)

انظروا إلى العقوبة العظيمة: عقوبة من يُصْبِحُ عَهْدَ اللَّهِ أَوْلَاً لِخَلْقِهِ لِمَنْ فِي الْأَخْرَةِ، أَيْ لِنَصِيبِهِمْ فِي الْأَخْرَةِ، وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ، وَلَا يَنْتَهِ إِلَيْهِمْ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُنْذِرُهُمْ، وَلِهِمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، خَمْسٌ عَقَوبَاتٌ لِنَصْبِ الْهَدَى، خَمْسٌ عَقَوبَاتٌ، مَاذَا يَعْنِي:



الأيمان هي حلف القسم

[إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَرُونَ بَعْدَ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ تَمَّا قَلِيلًا] أيماهم جمع يمين القسم، وسمى اليدين يمينا لأن الناس إذا أقسموا على شيء تعاهدوا بينهم فوضع كل يمينه يمين أخيه، فسمي يميناً جماعة أيام أي الحلف القسم، ما معنى **[إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَرُونَ بَعْدَ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ تَمَّا قَلِيلًا]**? مدير شركة مجلس حلف مكتب، معه ورقة نقدية بمليون دينار، وهذا الشيك إذا بحصص لن يستطيع أن يحصل على المال أبداً، ليس هناك إمكان لتصفي الشخص أبداً، أعطاه الشيك وسافر، إما أن تصرف الشيك أو المبلغ ذهب لا يوجد حل ثالث، فهو واضح الشيك على ظهره مقلوباً، جاءه رجل قال له: أريد أن أذهب إلى الدوار السابع من أين أذهب؟ فأراد أن يرشده للدور السابع فأخذ ورقة صغيرة من على المكتب ولم يتبته إلى أنها الشيك، ورسم لهخلفه الطريق، وأرشده، وذهب الرجل إلى الدوار السابع، وهو أراد أن ينطفئ مكتبه أمسك الشيك ومنزق ثم ألقاه في القمامه، بعد قليل تفقد الشيك ولم يجده أنتهى إلى أنه أتلف الشيك فضرب على رأسه وأصبح يكي نادماً، هذا الشيك ورقة نقدية استخدماه أسوأ استخداماً، يوجد منه ورقة لتلدي عليها وليس خلف الشيك، وهذا الشيك قيمة غالمة جداً، وأنت استخدمنته استخداماً سيناً جداً، هذا تشبيه يسيط لما يشعر به الإنسان يوم القيمة، عندما يشعر أنه اشتري بيات الله ثمناً فليلاً تزلت لتسعده، نزلت لتدخله جنة عرضها السماوات الأرض، نزلت هذه الآيات من أجل سعادته في الدنيا والآخرة، نزلت من أجل أن تجعله في أهنا حال، وأفضل حال في الدنيا ويوم القيمة، فإذا بيستخدمها استخداماً رخيصاً ويشترى بها ثمناً قليلاً، ولا يعبأ بها، ثم تفاجأ يوم القيمة بأن هذه الآيات كان من الممكن أن تسعده إلى أبد الآبدية لكنه اشتري بها ثمناً فليلاً، فقال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(سورة الإسراء)

هذا عهد بينه وبين الله ذهب وقرب الرياأخذ متعة عشر دقائق ماذا حصل؟ خسر الآخرة ثمناً فليلاً، عمل بالرياح حقّع ثروة من خلف الريا فرضاً عن أنه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة البقرة

لكن لنفترض أنه جمع عشرة ملايين دينار من الريا ثم لما جاءه ملك الموت ما هذه؟ هذه ثمن قليل، هذا معنى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ الَّذِينَ يُشْرِكُونَ بِعْدَ اللَّهِ وَبِمَا نَهَىٰ أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ

بُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْتَهُ إِلَيْهِمْ يَوْمُ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (77)

(سورة آل عمران)

موضوع لغوي متعلق بلغة العرب:

الآن يخاطب نبيه صلى الله عليه وسلم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ قَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ تَكَّثَ قَائِمًا يَنْكُثُ عَلَىٰ تَفْسِيهِ وَمَنْ أَوْقَنَ بِمَا ثَهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسِيُّونِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (10)

(سورة الفتح)

نكث أي خالف العهد.

ومن أوفي بما عاهد عليه، لماذا عليه؟ نحن في اللغة عليه، أصل الهاء في لغة العرب هاء الضمير المتصل هي هو فهي مضمومة في الأصل، الضمير المنفصل مضموم لكنه عندما يتصل وقبله ياء يحركونه بالكسر للمناسبة، مثلاً نحن نقول: له، ولا نقول: لـه، لهذا، لكن نقول عليه لأن قبلها ياء ل المناسبة الياء أو الكسرة تحرك بالكس، لكن هنا جاءت على الأصل وهي لغة العرب أنه جمجم الأحوال يقول: له، منه، عليه، يقولها هكذا، فقرأ حفص عليه قراءتنا نحن على حفص بن عاصم نقرأ عليه، باقي القراء قرؤوا عليه القراءات كلها عليه، لكن قراءتنا نحن نقرأ عليه باعتبار الأصل، لأن القرآن الكريم انزل على سمعة آخر وهذه القراءات من أسرار إعجاز القرآن الكريم، وقال بعضهم: من اللطائف أنها جاءت بالرفع من مقام العهد هنا للدلالة على أهميته في قراءة حفص، ومن أوفي بما عهد عليه، لأنضم دائمًا للرفع، كيف الضم للرفع؟ أنا عندما أخطب على المنبر، أخطبضم الطاء، فلان يخطب أي على المنبر، فلان يخطب بالكسر لأنه يذهب مع أهله يطلبون بي الفتاة إما أن توافق أو لا توافق فيذهب مكسوراً، تعطوننا أو لا تعطوننا؟ فإذا صعد المنبر يخطب، فإذا نزل للخطبة يخطب، فإذا وقف بين يدي الله في القبلة ينكس، وإذا أراد أن يُفَضِّل أو يُعَانِق والده بعد غياب يُقبله قليلة بالضم فيعانيه، فالقبلة ضم والقبلة كسر، القبلة بالضم والقبلة بالكسر، لأنك تقف بين يدي الله منكسرًا ذليلاً، وهذا أعظم أنواع العز أن تكسس نفسك بين يدي الله، الخطبة والخطبة، والقبلة والقبلة وغيرها، فهنا عليه أي لمناسبة العهد قال بعضهم، لكن يوجد بالأصل موضوع لغوي متعلق بلغة العرب، له، منه، عليه، البعض يكسرها لمناسبة اللفظ، وهذا شائع أكثر عليه.

الفرق بين العقد والعهد:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ قَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ تَكَّثَ قَائِمًا يَنْكُثُ عَلَىٰ تَفْسِيهِ وَمَنْ أَوْقَنَ بِمَا ثَهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسِيُّونِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (10)

(سورة الفتح)

هذه بيعة كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة العقبة، والله تعالى أنزل هذه البيعة قرآنًا يُتلى إلى يوم القيمة وقال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ قَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ تَكَثَ قَائِمًا يَنْكُثُ عَلَىٰ تَفْسِيهِ وَمَنْ أَوْقَنَ بِمَا ثَهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسِيُّونِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (10)

(سورة الفتح)



العقد غالباً يأتي فيما يتعاقد الناس

هذا الوفاء بالعهد إذاً العقد؟ البعض قالوا: العهد والعقد سببان، أي البعض ذكروا أنَّ العهد والعقد شيءٌ واحد، لكن يطلق عليه العهد أو العقد، أنا لا أؤمن كثيراً بالتراويف في القرآن الكريم، يعني أنهم متراويفون منه بالمئة، لا يُدْعَ أن يكون أحدهما فيه مزيد شيءٍ، فالعقد غالباً يأتي فيما يتعاقد الناس فيما بينهم مع استثناء، أي العقد عقد بيع بيني وبينك، عقد إيجار نوعه، فالعقود فيها طرفاً كُلُّ منهما يستوثق من الآخر، أنا أسلِّمك الثمن وأنت تسليمي المبيع، العهد غالباً ما يأتي للأشياء المعنوية أكثر، أي عاهدنا الله على طاعته، وعاهدت أبي على لا أشرب النبيكَ بعد اليوم، هذا عهد معنوي، أما عاقدت البائع على البيع أصبح الموضوع مادياً، عقد ثمن ومبيع، فيأتي غالباً العقد، فالعقد له نوع آخر بالوفاء، وجاء في آية قرآنية واحدة وهي الآية الأولى من المائدة قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
<إِنَّمَا أَنْهَمْتُكُمْ حُرْمَةً إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ>
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُهُودِ
<إِنَّمَا يُنَهَا عَنِ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُنْهَى عَنِ الْأَنْعَامِ>
الصَّابِدُ وَأَنْثَمْ حُرْمُ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ (1)

(سورة المائدة)

أول عقد وأعظم عقد جاء قبل أن يقول لك: أوفوا بالعقود، هل تعلم أنَّ قوله تعالى في القرآن يا أيها الذين آمنوا فاعط سمعك وابنها، لأن هناك شيئاً يريد الله تعالى منك، أو هناك شيئاً يريد الله أن تجتنبه، أعط سمعك فوراً: يا أيها الذين آمنوا، كيف يا أيها الذين آمنوا؟ هذا عقد إيماني بينك وبين الله قال لك: يا عبدي تؤمن بي ولكل الجنة، قلت له: أنا مؤمن يا رب، أصبح عقد بيننا فساوفي به:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
<إِنَّمَا أَنْهَمْتُكُمْ حُرْمَةً إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ>
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُهُودِ
<إِنَّمَا يُنَهَا عَنِ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُنْهَى عَنِ الْأَنْعَامِ>
الصَّابِدُ وَأَنْثَمْ حُرْمُ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ (1)

(سورة المائدة)

ثم بعد ذلك أوف بأي عقدٍ بينك وبين عباد الله، أول شيءٍ بالعقد بينك وبين الله ثم بكل عقدٍ بينك وبين عباد الله، فالوفاء بالعقود هو سمة للمؤمنين الصادقين. بالنسبة هذه ناحية فقهية بعض الفقهاء استدلوا بهذه الآية على أنه ليس هناك خيار مجلس في العقود، أي إذا جلسنا أنا وأنت وتعاهدنا أنا سأيعيك هذا الجهاز والثمن ألف، ووعلينا العقد انتهى، وجب الوفاء مني ومنك، لكن النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

{ الْبَيْعُانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَقْتِرَا }

(صحيح البخاري)

هذا اسمه عند الفقهاء: خيار المجلس، وقعنا العقد ونشرب كأساً من الشاي وأنا راجعت حسابي وجدت أنَّ المبلغ كبير عليٍ لا أستطيع تأمينه، فقلت لك: أريد أن أتراجع، هذا خيار لي، صاحب المبيع راجع نفسه ووجد أنه غير بالسعر لم يعد يريد بنفس المجلس لم يتفرق فلهم خيار المجلس لحديث النبي صلى الله عليه وسلم:

(البياع بالخيار) بعض الفقهاء أخذوا الآية بظاهرها فقالوا: لا يوجد خيار مجلس، الصحيح أن هناك خيار مجلس وهو من الوفاء بالعقد، أي بيني وبينك عقد أنّ هذا العقد نافذ ما لم تتفرق وفق الشرع فإذا تفرقنا ليس لك أن تعود إلا بعيب، أو إذا اشترطت أن هناك شرطاً يوجد ثلاثة أيام لأتراجع هذا موضوع فقهى.

أما الوفاء بالوعد فإن يصبر الإنسان على أداء ما يعده الغير، وبذلكه من تلقاء نفسه حتى وإن أصرّ به ذلك، وانتبهوا إلى آخر الكلمات: حتى وإن أصرّ به ذلك الوفاء بالوعد، أنا وعدتك بشيء الآن يجب أن أفي بوعدي، وعدتك بمال، وعدتك بموعد، وعدتك بجواب، وعدتك بالتوسيط عند فلان، وعدتك بمكافأة، إن أنت فعلت كذا هذا وعد، فلما يعده الإنسان غيره بشيء ينبغي أن يفي بهذا الوعد حتى وإن أصرّ به ذلك، لا يقل: والله أنا وجدت نفسي سأضر إدا دفعت، حتى وإن أصرّ به ذلك، وقالوا: كلما كثر الضرر على الإنسان كان الأجر على الوفاء بالوعد أعظم عند الله تعالى، أي كلمة رجال يسمونها، طبعاً ليست كلمة رجال تعنى عكس النساء، لا، كلمة الرجل في القرآن تعنى ليس الرجل الذكر بل البطل:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
رِحَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ
عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيَّاهُ الرَّكَابُ يَحَافُونَ يَوْمًا
تَّقْلِبُ فِيهِ الْفُلُوْبُ وَالْأَبْصَارُ(37)

(سورة النور)

الإنسان لله والمالك يتصرف بملكه كيفما يشاء :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ اللَّهَ اسْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بَأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُبْقَلُونَ وَعَدَ اللَّهُ عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ
وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَأَسْبَبَتِهِ بِسْعَكُمُ الَّذِي تَأْغُمُ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَقُورُ الْعَظِيمُ(111)

(سورة التوبة)



بَنْ لَسْنَا مَلَكًا لِأَنفُسِنَا نَحْنُ مُلْكُ اللَّهِ
أَيْهَا الْكَرَامُ انظروا إِلَى هَذَا الْعَهْدُ وَذَاكُ الْوَعْدُ؛ رَبَّنَا عَزَّ وَجَلَّ هُوَ يَمْلِكُنَا، نَفْسُنَا مِنْ يَمْلِكُنَا، إِنَّ اللَّهَ نَحْنُ لَسْنَا مَلَكًا لِأَنفُسِنَا نَحْنُ مُلْكُ اللَّهِ، إِذَا قَالَ لَكَ إِنْسَانٌ: أَنَا لِمَاذَا مَرْضَتِ؟
قُلْ لَهُ: أَنْتَ لِلَّهِ، يُمْرِضُكَ أَوْ يُشْفِيكَ، كَمْ مَعَ اللَّهِ دَائِمًا فِي الْمَرْضِ وَفِي الشَّفَاءِ، أَنْتَ لَهُ، لِمَاذَا حَصَلَ مَعِي كَذَا؟ أَنْتَ لِلَّهِ وَالْمَالِكُ يَتَصَرَّفُ بِمَلْكِهِ كَيْفَمَا يَشَاءُ، فَنَحْنُ أَنفُسُنَا لِلَّهِ
وَأَمْوَالُنَا لِلَّهِ، وَالدَّلِيلُ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَنْوَهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَانَّهُمْ(33)

(سورة النور)

فالمال مال الله والنفس لله، سأضرب مثلاً، أب قال لابنه: خذ هذا الجوال هديةً مني لك، ثم بعد قليل قال له: تبيني الجوال؟ إذا كان الابن بارًّا ماذا يقول لوالده؟ الجوال لك أنت وهبتي إياه ت يريد أن تستربه وتعطيني ثمنه هو لك في الأصل، هنا المعنى كذلك:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ اللَّهَ اسْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
قَيْقَاتِلُونَ وَقُتْلُونَ وَعُدُّا عَلَيْهِ حَقًا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبِشُرُوا بِسَعْكُمُ الَّذِي بَأْتُمُ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ
(111) العظيم

(سورة التوبة)

يا رب إن أنفسنا وأموالنا هي لك في الأصل ثم تشتريها منا وتدفع ثمنها ! قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ اللَّهَ اسْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
قَيْقَاتِلُونَ وَقُتْلُونَ وَعُدُّا عَلَيْهِ حَقًا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبِشُرُوا بِسَعْكُمُ الَّذِي بَأْتُمُ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ
(111) العظيم

(سورة التوبة)

الثمن الجنـة، الثمن حـنة عـرضـها السـماـوات والأـرضـ، تـقدـمـ نـفـسـكـ للـلهـ، يـمـكـنـ أـنـ يـمـوتـ الإـنسـانـ فـي سـبـيلـ اللهـ، وـكـلاـهـماـ جـهـادـ وهذاـ الـكلـامـ قـرـآـنيـ وـنـبـويـ وـلـيـسـ مـنـ عـنـديـ، يـمـكـنـ أـنـ تـحـيـاـ فـي سـبـيلـ اللهـ، وـمـكـنـ أـنـ تـمـوتـ فـي سـبـيلـ اللهـ، وـمـكـنـ أـنـ تـمـاتـ فـي فـراـشـهـ وـلـمـ يـمـتـ فـي أـرـضـ الـمـعـرـكـةـ؟ـ!ـ سـيـدـنـاـ خـالـدـ بـنـ الـولـيدـ وـغـيـرـهـ كـثـرـ، فـالـحـيـاةـ فـي سـبـيلـ اللهـ مـطـلـوـبـةـ كـمـاـ هـوـ الـمـوـتـ فـي سـبـيلـ اللهـ، نـحـنـ الـآنـ جـنـنـاـ فـي عـصـرـ مـمـتـحـنـوـنـ فـي الـحـيـاةـ فـي سـبـيلـ اللهـ، الـفـتـنـ كـثـيرـ، وـالـصـارـفـ كـثـيرـ، لـكـنـنـاـ إـنـ شـاءـ اللهـ نـحـيـاـ فـي سـبـيلـ اللهـ عـلـىـ أـمـلـ أـنـ تـمـوتـ فـي سـبـيلـ اللهـ، لـكـنـ تـقـيـ الـحـيـاةـ فـي سـبـيلـ اللهـ أـمـرـاـ عـظـيـمـاـ لـاـ يـمـكـنـ أـنـ نـقـلـ مـنـ شـائـهـ فـيـقـدـمـ أـنـفـسـنـاـ وـأـمـوـالـنـاـ لـلـهـ، وـالـثـمـنـ الـجـنـةـ؛ـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ اللَّهَ اسْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
قَيْقَاتِلُونَ وَقُتْلُونَ وَعُدُّا عَلَيْهِ حَقًا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ
وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبِشُرُوا بِسَعْكُمُ الَّذِي بَأْتُمُ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ
(111) العظيم

(سورة التوبة)

الوفاء بالوعود من صفات الأنبياء:

في التوراة والإنجيل والقرآن في كل الرسالات، أوفى من يفي بعهده هو الله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مُأْتِيًّا (61)

(سورة مریم)

هـذاـ الـوـفـاءـ بـالـوـعـدـ، فـالـلـهـ تـعـالـىـ وـعـدـكـ وـعـدـهـ آـتـ لـاـ مـحـالـةـ، وـأـنـتـ إـذـ وـعـدـتـ فـلـيـكـ وـعـدـكـ آـتـ لـاـ مـحـالـةـ، وـالـوـفـاءـ بـالـوـعـدـ مـنـ صـفـاتـ الـأـنـبـيـاءـ، قـالـ اللـهـ تـعـالـىـ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا (54)

(سورة مريم)

صادق الوعد يصدق في وعده مع الله ومع الناس، وكان رسولًا نبيًّا، انظروا كيف قدم صدق الوعد على الرسالة والنبوة للأهمية، فالتقديم دائمًا للأهمية.
أخيرًا كان إبراهيم عليه السلام ولا تكن لأهل القرى، إبراهيم وفق:

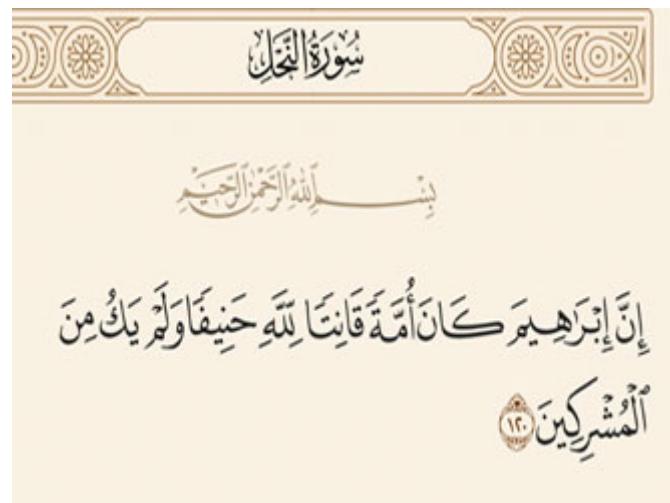
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَقَى (37)

(سورة النجم)

انظر إلى هذا المدح القرآني العظيم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَقَى (37)

(سورة النجم)



حياة إبراهيم كلها كانت وفاة بعهد الله تعالى
كيف وفى سيدنا إبراهيم؟ قال له: اذبح ابنك، قام لذبح ابنه، قال له: أسكن ذريتك بوادٍ غير ذي زرع، أخذهم وأسكنهم بوادٍ غير ذي زرع، قال له: أقم البيت على القواعد، قام وابنه وأقاما البيت على القواعد التي أمره الله تعالى بها، حياة إبراهيم كلها كانت وفاة بعهد الله تعالى، كانت وفاة من أعظم مستوى، من منا يفي بعهده كما وفق سيدنا إبراهيم عليه السلام؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أَمَةً قَاتَلَ اللَّهَ حَيْنَقًا وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (120)

(سورة النحل)

لم يكن إبراهيم فرداً كان أمّاً قرأ يوماً أحد الصحابة الكرام إن معاذ بن جبل كان أمّاً قاتناً لله، فيقول أحد الصحابة: فقلت: أخطأ أبو عبد الرحمن - خطأ هذه الآية - فقلنا له: إن إبراهيم كان أمّاً، فقال: هأنا أقول إن معاذ بن جبل كان أمّاً، قالوا: كيف ذلك؟ قال: لقد كان معاذ بن جبل أمّاً في الخير يقتدي به الناس في الخير، وكنا ننشيه معاذ بن جبل بإبراهيم عليه السلام، فالآلة هو الذي يقتدي الناس به في الخير، يكون قدوة في الخير حيث حلّ، فإبراهيم وفى بعهده فلن إبراهيمياً.

الإنسان خاسر لأن ماضي الزمن يستهلكه:

أيها الكرام: ما مقابل الوفاء؟ الكنود، قلنا: الغدر، والمصطلح القرآني الكنود، والكنود هو الإنسان الذي يُعدُّ المصائب وينسى النعم، كنود، تقول له: كيف الوضع؟ يقول لك: لا يوجد سوق، والوضع سيء، والحالة سيئة، وأنا تعان ومتزعج، أين يَعْمَلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ؟ يُعَدُّ المصائب وينسى التعم هذا كنود، انظروا الآن قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالْعَادِيَاتِ صَبَّحَا (١) قَالْمُورَبَاتِ قَذْحَا (٢) قَالْمُغَيْرَاتِ صَبَّحَا (٣) فَأَتَرْزَنَ بِهِ تَقْعَداً (٤) فَوَسَطْنَ بِهِ حَمْعاً (٥) إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (٦)

(سورة العاديات)

تعلمون دائماً أن بين القسم والمُقسم به في القرآن الكريم علاقة، دائماً بين القسم والمُقسم به علاقة، مثلاً:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢)

(سورة العصر)



العمر يمضي والإنسان يخسر

ما علاقة العصر بالخسارة؟ أن مُضيَّ العصر والزمن يجعل الإنسان خاسراً وقتها، لأن رأس مالك الزمن، فنحن الآن أنفقنا الزمن بمعينكم إنفاقاً استثمارياً، لأن هذه الجلسة محفوظة إلى يوم القيمة، والأجر عند الله، الذي جلس هذه الساعة في المباح، والساعة ذهبت لم يستفد منها شيئاً لكنه خسر، ومن يعصي الله فيها هذا أعظم خسارة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آتُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَوْاصَوْا بِالْحُكْمِ وَتَوَاضَوْا بِالصَّابِرِ (٣)

(سورة العصر)

فالعمر يمضي والإنسان يخسر، لأنه إذا كان عمره ثمانين سنة وأربعة شهور وثلاثة أيام وأربع ساعات وخمس دقائق وثانية، في كل لحظة تمضي يخسر جزءاً من عمره :

عندما بدأت هذا اللقاء الطيب بمعيتكم كنا جمياً أبعد عن الموت من هذه اللحظة، الآن كلنا افترينا من الموت بمقدار ما مضى من الوقت، هذه حقيقة ليست يأساً ولا تشاؤماً، هذه حقيقة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢)

(سورة العصر)

أعظم وفاءً أن تكون أوفياء مع خالقنا فنأتمنر بما أمر:

نعود للآية :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالْعَادِيَاتِ صَبْحًا (١)

(سورة العاديات)

من العاديات؟ الخيول التي تعدو، ما معنى صبحاً؟ تصدر صوت الصبح، عندما ترکض الخيول ركضاً شديداً الإنسان يلهمت، الخيول تصبح، يصدر صوت منها اسمه: الصبح تسميه العرب:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالْعَادِيَاتِ صَبْحًا (١)

(سورة العاديات)

يقسم بها وقد أسرعت وأسرعت حتى صدر منها صوت الصبح، صبحاً:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (٢)

(سورة العاديات)

الموريات هي التي تُشعل النار بحوافرها عندما تصطك بالحجارة، من شدة العدو تصطك حوافر الخيل بالحجر فتصدر ناراً، شرارة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (٢) قَالْمُغَيْرَاتِ صَبْحًا (٣)

(سورة العاديات)

يظهر الصبح تكون قد وصلت إلى أرض المعركة تُغير على الأعداء.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَأَتَرْبَرَ بِهِ نَعْقًا (4)

(سورة العاديات)

النَّعْ هو الغيار، فعندما الخيل تركض بُئار الغiar.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَوْسَطْلَنِ بِهِ حَمْعًا (5)

(سورة العاديات)

أين تنزل؟ في وسط الجموع، ألا تخاف على نفسها أن يُصيّبها سهم؟ لا، لماذا تفعل الخيل كل ذلك؟ تركض حتى يصدر صوت الصبح، وتركض حتى تصطك سبابكها بالحجارة فتصدر الشّر، وتُغيّر على الأعداء ضيّقاً فتثير الغبار، وتنزل في وسط الجموع غير آيةٍ بهذه الحرب الضروس التي كل شيء فيها مخيف، لماذا تفعل كل ذلك؟ وفاءً لصاحبها، ما الذي دفعها لنفعل ذلك؟! هي ليس لها أعداء، هل لها أعداء في أرض المعركة؟ لا، من أجل صاحبها، لأن الخيل وفيه، ما جواب القسم؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرِبِّهِ لَكَنُودٌ (6)

(سورة العاديات)

يا ليتنا كالخيول:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرِبِّهِ لَكَنُودٌ (6)



الخيل وفيّه لصاحها

لا يوجد عنده وفاء لخالقه، لو تأمل في هذه الخيل التي لها غريبة، وليس لها فكر ولا عقل، ولكنها كانت وفيّه لصاحبها بما أودع الله تعالى بها من غريبة لاستحبابها من ربها أن تكون الخيل وفيّه له وهو غير وفي لخالقه الذي أعطاه نعمة الإيجاد، ونعمة الإمداد، ونعمة الهدى والرشاد.

نحوها الكرام مغمورون بفضل الله، فأعظم وفاءً أن تكون أوفياء مع خالقنا فتأتمنا بما أمر، ونتنهى عما نهى عنه وجزر، أعظم وفاءً أن نفي بعهدهنا معه، فقد أخذ علينا العهد ونحن في عالم الذر:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّا عَرَضْنَا الْأُمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَيْنَ أَنْ يَحْمِلُهُنَا وَأَسْفَقْنَاهُنَّ مِنْهَا وَحَمَلَهَا إِنْسَانٌ إِنَّهُ كَانَ طَلُومًا جَهُولًا (72)

(سورة الأحزاب)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ طُفُورِهِمْ دُرْسِتَهُمْ وَأَسْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنْسَثَ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تُمُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (172)

(سورة الأعراف)

فهذا أعظم عهده أخذه الله تعالى علينا أوفياء مع الله، ولنوفّ بهدا العهد بريوبنته جل جلاله، وبالوجهية جل جلاله، وأن نحمل الأمانة التي أراد الله تعالى أن نحملها، وهذا من أعظم الوفاء، ثم لنكون أوفياء مع عباد الله، فإن الله تعالى جل جلاله وفيّ معنا ومع خلقه فلا أقلّ من أن تكون أوفياء معه ومع عباده، والحمد لله رب العالمين.

أعظم العهد أن نمشي على الطريق الذي رسمه الله لنا في الدنيا:

كن كإبراهيم ولا تكون كأهل القرى، أهل القرى ماذا فعلوا؟
ربنا عز وجل ذكر أهل القرى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
<وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمُوا وَأَتَّقُوا>لَقَسْطَنْتَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا
فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (96)

(سورة الأعراف)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
<نَّلَكُ الْفُرِيَّ نَعْصُّ عَلَيْكُمْ مِنْ أَنْتُمْ هَا وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَمَا كَانُوا لَيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَّلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى فُلُوْبِ الْكَافِرِينَ (101) وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ>وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ (102)

(سورة الأعراف)

والله أيها الكرام أنا عندما أقرأ هذه الآية تحديداً وأنت جميعاً أهل فضل وخير وربما عندكم من الفضل والخير ما ليس عندي وهذا والله ليس تواضعاً وإنما حقيقة ولكن عندما أقرأ هذه الآية والله أرتعن من داخلي:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ (102)

(سورة الأعراف)

ما عندهم عهد، وما وجدنا لأكثرهم من عهد، لا يوفون بعهدهم لا بعهدهم مع الله ولا بعهدهم مع الناس:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ><وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ (102)

(سورة الأعراف)

(لفاسقين) منحرفين مبتعدين عن طريق الصواب، وهذا يدل على أنَّ من أعظم العهد أن تمشي على الطريق الذي رسمنه الله تعالى لك في الدنيا، فكن إبراهيمياً ولا تكن كأهل القرى.

سؤال: من المقصود بأهل القرى؟

أهل القرى: مكة أم القرى وما حولها أهل القرى، طبعاً الآيات هنا تتحدث عن عموم الناس أهل القرى، القرية بمصطلحنا نحن هي أصغر من المدينة، أي القرية هي عبارة عن تجمع سكاني بسيط في القرأن الكريم لا مكة أم القرى مع أن مكة كانت مركزاً تجارياً وكان اسمها: أم القرى، فأهل القرى هم عموم الناس.

والحمد لله رب العالمين